هوامش

ذكرت مصادر محليّة من سورية أنّ المليشيات الإيرانية نقلت أسلحة نوعيّة إلى قلعة الرحبة في ريف مدينة الميادين السورية، خوفاً من استهدافها من طيران التحالف

تقع قلعة الرحبة على الضفة الجنوبية من نهر الفرات ليس بعيداً عن الحدود السورية العراقية (فيسبوك)

قلعة الرحبة

معلم تاريخي تحول لمستودع أسلحة للمليشيات الإيرانية

أمين العاصي

لم تسلم قلعة الرحبة، بالقرب من مدينة الميادين السورية، من المليشيات الإيرانية التي تسيطر على جانب كبير من الريف في أقصى الشرق السوري، إذْ حولتها أخيرًا لمقر عسكري ومستودع أسلحة. وذكرت مصادر محلية وشبكة «عين الفرات» الإخبارية أن المليشيات الإيرانية نقلت أسلحة نوعية نحو القلعة خوفاً من استهدافها من قبل طيران التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، الذي يقصف بشكل مستمر مواقع هذه المليشيات في ريف دير الزور. ومن الواضح أن المليشيات تريد الاستفادة من سماكة جدران هذه القلعة ومن الأقبية والسراديب بداخلها من أجل حماية عناصرها وأسلحتها من القصف الجوي. تقع قلعة الرحبة على الضفة الجنوبية من نهر الفرات، ليس بعيداً عن الحدود السورية العراقية، وعلى مقربة من مدينة الميادين، بينما تبعد عن مدينة دير الزور نحو 45 كيلومتراً، إذْ تعود المنطقة إدارياً لها. وتعد قلعة الرحبة من أبرز الأوابد التاريخية في شرقي سورية، فضلاً عن كونها من أهم القلاع التاريخية الصامدة حتى اللحظة في عموم سورية، من قلعة حلب إلى قلعة الحصن إلى المرقب إلى قلعة دمشق إلى قلعة فخر الدين المعني، شمال مدينة تدمر، في قلب البادية السورية، وسواها من القلاع التي بُنيت في مراحل تاريخية متعددة. والرحبة، التي جمعت كل خصائص التحصين، يعني اسمها باللغة الآرامية الرحابة والسعة. لها تاريخ طويل هو جزء من تاريخ الشرق السوري، الذي مرت عليه الكثير من الحضارات وتعرض لعدة غزوات، آخرها الغزو الإيراني الراهن، الذي يحاول العبث بهوية المنطقة كلها.

ووفق وزارة السياحة في حكومة النظام السوري، فإنَّ قلعة الرحبة «قامت على أنقاض مدينة رحبوت الآرامية»، مشيرة إلى أن تاريخ القلعة يعود إلى عام 2500 قبل الميلاد، حيث سكنها في البداية الآراميون ثم العموريون والعرب والسلاجقة. وتشير المصادر التاريخية إلى أنه كانت هناك بلدة تحمل الاسم ذاته إلى جانب القلعة، برزت كحاضرة على نهر الفرات في العهد العباسي، وفي العهد الأيوبي، مؤكدة أن قلعة الرحبة أنشئت على يد مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، الذي حكم المنطقة 40 سنة في العصر الأول من الخلافة العباسية، ولذا سميت باسمه، حيث كان من القادة العسكريين المهمين إبان حكم الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد.

وشهدت القلعة والمنطقة الشرقية من سورية عموماً على فترات متقاربة العديد من الأحداث التاريخية الجسام، حيث تعاقبت دول على حكم الرحبة، مدينةً وقلعةً، كالبويهيين والقرامطة والزنكيين، حيث جُددت القلعة في عهد السلطان محمود نور الدين بن عماد الدين، وصولاً إلى العهد الأيوبي، الذي شهد ذروة الازدهار. وتذكر المصادر التاريخية أن المغول حاصروا الرحبة وقلعتها عام 712هـ -1312م، ولكن الحصار فشل بسبب مناعة أسوار القلعة، مشيرة إلى أن المغول تركوا وراءهم المدافع التي حاصروا بها القلعة والمدينة، فاستولى المدافعون عليها ونقلوها إلى داخل القلعة. وإبان الوجود العثماني في عموم بلاد الشام والعراق، احتفظت القلعة بأهميتها كحاضرة مهمة على نهر الفرات.

ووفق مصادر تاريخية متعددة، كانت قلعة الرحبة محاطة بأسوار هائلة، وفيها ممرات داخلية معدة لتخزين الطعام والمؤن لمواجهة أي حصار طويل الأمد، حيث كانت القلعة مطمعاً لكل القوى التي تتناوب على السيطرة على منطقة شرقي دير الزور. وفي القلعة برج مراقبة طوله 26 متراً لأغراض عسكرية، حيث كان يكشف مساحات كبيرة محيطة بالقلعة التي تتمتع بموقع يسهّل مهمة المدافعين عنها. ونُسجت حول القلعة العديد من الاساطير حول الثروات المدفونة فيها، فضلاً عن وجود أشباح بداخلها.

الوصف المعماري

وتصف وزارة السياحة في حكومة النظام السوري قلعة الرحبة بالقول: «يحيط بها خندق ولها سور خارجي مهدم خماسي الأضلاع غير منتظم مشيد بالحجارة والآجر، ومدعم ببعض الأبراج. وللقلعة باحة داخلية وممر رئيس على شكل أقواس، وبداخلها سور داخلي مخمس غير منتظم الأضلاع مشيد بالحجارة. وللقلعة ثلاثة طوابق أرضية يدخلها الزائر من بوابة عبر الممر الرئيسي للطابق الأول، وعلى الجانبين توجد غرف بشكل مستودعات. أما الطابق الثاني فمؤلف من عدة مستودعات، والطابق الأرضي الثالث هو خزان ماء واسع وعميق».

باختصار

المليشيات تريد الاستفادة من سماكة جدران هذه القلعة ومن الأقبية والسراديب بداخلها من أجل حماية عناصرها وأسلحتها من القصف الجوي

■■■

تذكر المصادر التاريخية أن المغول حاصروا الرحبة وقلعتها عام 712هـ -1312م، ولكن الحصار فشل

■■■

كانت قلعة الرحبة محاطة بأسوار هائلة، وفيها ممرات داخلية معدة لتخزين الطعام والمؤن لمواجهة أي حصار طويل الأمد

وأخيراً

الرّقة والغنم وأم كلثوم

خطيب بدلة

تداولت الصحافة المحلية، قبل أيام، خبراً عن انخفاض أسعار الغنم في محافظة الرّقة... إنّه خبر عادي بالطبع، ففي سورية تنخفض أسعار الأشياء التي يمتلكها المواطن، وترتفع أسعار السلع التي يستهلكها... يذكر محسوبُكم أنّنا كنا، عندما ينخفض سعر اللحم، عندنا في المناطق الشمالية، نتساءل عن السبب، فيقال لنا إنّ الأمطار في الرّقة والجزيرة، هذه السنة، قليلة، والمرعى مجدب، و«الغنم غَرَّبَتْ» بمعنى أن أصحابها ذهبوا بها غرباً، وباعوها، في مناطقنا، بثمن بخس.

في الخبر أشياء أخرى مثيرة؛ منها أنّ الضرر الناجم عن انخفاض سعر الغنم يصيب أهالي محافظة الرّقة التي بقيت مهملة، ومنكوبة، طوال سني حكم الأسد ووريثه، وزاد في طنبوريّها نغماً أنّ تنظيم «داعش» احتلّها، وجعل علمَ تنظيم القاعدة الأسود يرفرف في سمائها. ولأجل ذلك، شكلت أميركا تحالفاً دولياً جوياً، لم يتمكن من دحر «داعش» حتى صارت الرّقة ركاماً على الأرض. في فيلم «سَلّامة» الذي أنتج سنة 1945، وهو الخامس الذي تلعب فيه السيدة أم كلثوم دور البطولة، يكيل الشاعر الغنائي الكبير، بيرم التونسي، المديح للغنم، خلال أغنية «سلام الله على الحاضرين» التي لحنها الشيخ زكريا أحمد، وتقول: «رعينا الغنم وسقناها/ وكَمْ بالعصا ضربناها/ لقينا الغنم/ تحب الطرب/ ولو تنشتم/ ولو تنضرب/ فلا فحلها قليل الأدب/ ولا كبشها سريع الغضب». وتنتهي الأغنية بفرض عقوبةٍ مذلة على الرجل الذي أساء للأغنام، وهي أن «يبوس القدم/ ويبدي الندم/ على غلطته بحق الغنم».

ولكنّ البشر، منذ فجر التاريخ، لم يرأفوا بالغنم، إذ جعلوه جزءاً أساسياً من طعامهم، وهو طعامٌ فاخر، يتوفر على موائد الأغنياء، ولا يأكله الفقراء إلّا في المناسبات السعيدة، ويتباهى أهل العزّ والجاه بتناوله، بدليل ما يغنّى في الأعراس ضمن أغنية «أوف مَشْعَل»: «ردّوا غنمكم ما حدا ظلمكم، حبي عزمكم دَبَّاحْ الخرفان». ومما تغنّي نجاح سلام برفقة حسن عبد النبي: «حَوِّل يا غنام حول/ بات الليلة هين...». ولعلّ أطيب أنواع لحم الغنم هو «العَوَاس» الذي كان وزير الخارجية السوري الراحل، وليد المعلم، يعشقه، ويترنّم به. وللعلم، إنّنا - نحن السوريين - لم نكن نعلم بوجود أنواع أخرى، حتى الثمانينيات، عندما شنّ النظام السوري حرباً واسعة على الشعب السوري، بذريعة محاربة جماعة الإخوان المسلمين والطليعة المقاتلة. وفرضت أميركا، وبعضُ الدول الأوروبية، عقوبات على نظامه أدّت إلى فقدان كلّ شيء. وحتى الغنم السوري الذي كان متوفراً ما عاد يكفي، وصار بعض التجار يستوردون أغناماً من تركيا تحمل اسم «البيلّا». والقصّابون يميزون بين النوعين من خلال الإلية، فالعواس ذو إلية كبيرة، بينما إلية البيلا صغيرة، فكأنّها ذنب معزاة.

> البشر، منذ فجر التاريخ، لم يرأفوا بالغنم، إذ جعلوه جزءاً أساسياً من طعامهم

لم يكن وليد المعلم أول من أدخل الغنم إلى أدبيات السياسة من خلال ترنمه بلحم العواس، فمنذ استولى حزب البعث على السلطة، بانقلابٍ عسكري، لا يزور مسؤول (وإن كان من الدرجة الخامسة) مدينة أو بلدة أو قرية، إلا وتُبطح الخراف أرضاً، وتنزل السكاكين في أعناقها. وفي أيام الانتخابات، سواء الخاصة بالمجالس المحلية، أو مجلس الشعب، تُرتكب مجازر كبرى بحق جنس الغنم. وإذا أنت نظرت إلى السرادقات التي تقام أيام الانتخابات، ستجد الموائد الطويلة مكتظّة بمناسف الغنم مع الرز والفريكة. وقد صوّر رسام كاريكاتير، ذات يوم، ناخباً يضع ورقةً في صندوق الانتخاب، وقد كتبت عليها كلمة «ماع». ولعلّ أظرف ذبح للخراف هو الذي يحصل قبل انتخابات مجلس الشعب بيومين. وبالتحديد، عندما تصدُر قوائم الجبهة الوطنية (التقدمية)، فوقتها تُعرف أسماء الواصلين إلى عضوية المجلس، وكفانا الله شر الانتخابات.

عندما يخضع شعبٌ ما لظلم كبير، ويبقى ساكتاً، يقال: شعبٌ غنم. ولكنّ الشعب السوري ليس غنماً، بدليل امتلاء السجون بأبنائه، والمقابر بجثثهم.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**